شهادات حية حول أحداث مظاهرات 27 فيفري 1962

شهادات حية حول أحداث مظاهرات 27 فيفري 1962على لسان الأستاذ لخضر عواريب ضمن اليوم الدراسي الذي نظمته كلية العلوم الانسانية والاجتماعية شعبة التاريخ لجامعة الشهيد حمه لخضر ،هذه المظاهرات التي كانت ردا على القرار الفرنسي القاضي بفصل الجنوب ،والذي كان يهدف للاستفادة من الثروات الباطنية للصحراء الجزائرية تحت ما يسمى بالجمهورية الصحراوية.

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
بجامعة قاصدي مرباح لخضرعواريب

هذه المظاهرة جاءت نضالا للمنطقة منذ اندلاع الثورة ،وبدايات العمل الثوري في المنطقة منذ سنة 1955 على مستوى ثلاث جبهات ؛ التموين بالمال ، والسلاح والإطار البشري وتجنيد أبناء المنطقة للمشاركة في الثورة المباركة عبر المنطقة الأولى والخامسة . مظاهرات ورقلة جاءت ردا على سياسة فرنسا التي عرفت تاريخيا بسياسة فصل الصحراء ،هذه السياسة التي بدأت من سنة 1957 بعد الإعلان عن تأسيس وزارة مستعمرة الجنوب وفصل الشمال عن الصحراء ،وتأسيس عمالتين هما عمالة الساورة والواحات ،ثم بعد ذلك ظهور فكرة الجمهورية الصحراوية المتحدة مع فرنسا ،والتي تزعمها أحد أبناء فرنسا وهو المدعو حمزة بوبكر الذي بدأ من سنة 1959 بنشاط حثيث من أجل أن يوفر الأجواء لعملية الفصل ،حيث عقد عديدا من الاجتماعات في كل من العاصمة ،الأغواط ،غرداية ورقلة ،كذلك كان يدعمه بعض الساسة والمستشارين لديغول اوليفيقيشار ومجموعة من المستشارين السياسيين والعسكريين الموالين لديغول الذين كان يدعمون مشروع الفصل .

وقد وصل المشروع إلى المجالس المحلية وأعيان المنطقة الذين كانوا يعملون ضمن المجالس المحلية ،حيث عقدت عديد الاجتماعات في مجلس عمالة ورقلة محاولة لتكريس عملية الفصل ،وآخرها اجتماع شتاء 1961 ،عندما عقد اجتماع في العمالة وطرحت فيه القضية ،إلا أن أعيان المنطقة استطاعوا أن يوقفوا هذه المحاولة عن طريق طرحهم بأنهم يمثلون السكان ،وجاءوا لمشروع الميزانية وليس عملية الفصل التي تتطلب أن تطرح في إطار انتخابي دستوري .

وقد عاود حمزة بوبكر تحركه إذ ذهب إلى منطقة الأهقار والطوارق وحاول أن يقوم بعملية الفصل ويروج لها وفشل في غرداية وإفريقيا ،واتصل بحماني ديوري إلى غير ذلك وفشل ،في الأخير أصبحت فرنسا تحاول أن تفرض هذه العملية بالقوة ،لذلك تحرك قادة الولاية السادسة وطلبوا من سكان منطقة ورقلة التحرك ، وجاء الملازم الأول شنوفي محمد ومعه مجموعة من إطارات الولاية السادسة إلى ورقلة يوم 26فيفري 1962 ،واتصلوا بقادة البلدة الذين كانوا يمثلون 14 مجلسا عن طريق رسائل لازالت موجودة في مختلف الأرشيفات ،طلبوا فيها التظاهر يوم 27 . وبالفعل يوم 27 صباحا خرج سكان المنطقة بأحيائها ونزلوا الى الساحة المعروفة بسوق الحطب ،بعد ذلك تبيّن أن الوفد الفرنسي أخّر نزوله إلى مطار ورقلة هذا الوفد كان يضم شخصيات هامة منها ماكس لوجون الذي كان وزير الصحراء سابقا ، لوي جوكس الذي كان رئيسا للوفد الفرنسي المفاوض ،عندما علم المناضلون والمنظمون بأن نزول الطائرة سوف يتأخر قاموا بتأجيل المظاهرات ،وطلبوا من المتظاهرين أن يتفرقوا في أحياء القصر في انتظار مجيء الوقت المحدد . وعلى الساعة الواحدة انطلقت المظاهرات ،كان المواطنون يحملون لافتات كتب عليها تحيا جبهة التحرير الوطني ،الصحراء جزائرية وستبقى جزائرية ،لا لتقسيم الجزائر إلى غير ذلك من هذه الشعارات التي تدعو الى الوحدة .

كعادة فرنسا في هذه المظاهرات والتحركات الشعبية سواء في 1945أو1960و1961تبدأ في عملية ما يعرف بحصاد آدمي ؛تحركت القوات الفرنسية التي كانت متواجدة بالمنطقة بكثافة كونها منطقة عسكرية منذ سنة 1902 توجد بها 09 معتقلات من أكبر المعتقلات في الجزائر ،تحركت هذه الآلة الجهنمية ، فانجر عنه 05 شهداء منهم الشيخ بن سعيد عتبة كان يحمل العلم الجزائري وهو المرحوم شطي الوكال ومئات الجرحى الذين نقلوا الى المستشفى ثم هربوا من المستشفى خوفا من أن ينكل بهم

كما ساهم العديد من قادة المنطقة في هذه العملية ولعلي أذكر شخصا للأسف أهمل وهو بالمير مبروك ،هذا الشخص الذي كان يتلاعب بفرنسا حيث ادعى الجنون ،وكانت له حادثة غريبة حيث كان يجوب أنحاء البلدة ليعطي أوامر للثوار عن طريق استعمال الروية والجنون ،حيث كان يجر خيطا فيه قطعة قماش تحمل علم فرنسا ،ودائما ما يضرب هذه القطعة وهو مدعي الجنون ،وكان له دور كبير جدا إذ كلف في هذه المظاهرة بإحصاء عدد الجرحى والقتلى ،كما كانت هذه المظاهرة في رمضان وقد بينت قوة وعظمة الثورة ،حيث استطاع المنظمون في يوم واحد أن يجندوا كل الفئات السكانية للبلدة . كما كانت المظاهرة آخر مسمار في نعش فرنسا ؛لأنّ نعش فرنسا بدأت المسامير تدق فيه من الاحتلال عبر مختلف المحطات التاريخية للجزائر ،فهذا آخر مسمار لأن اقتناع ساسة فرنسا بأن الجزائريين في الصحراء يرفضون هذه المناورات الهادفة لفصلهم عن الشمال .

لما اقتنع ديغول بهذه القضية سمح للوفد المفاوض أن يتنازل عن الصحراء وبذلك نالت الجزائر استقلالها والدليل على ذلك أنه بعد المظاهرات بمدة من 27 الى غاية 19 مارس تم توقيف القتال والاتفاق .

بينت هذه المظاهرات كيف أن التنظيم كان في كل الجزائر من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها لذلك نحن كمثقفين وباحثين في التاريخ وكمجتمع مدني في المنطقة في ظل مايحاك على الجزائر التي تريد أن تحيي هذه الأفكار ندعو إلى أن يعتمد هذا اليوم يوما وطنيا للوحدة .